شكاوى النساء
ببن يدي خاتم الأنبياء

Complaints of women in the hands

of the ring of prophets

اعداد

م.د. محمد جهاد عجاج شباط الجنابي

التخصص العام / العقيدة والفلسفة الإسلامية

الهاتف والبريد الالكتروني

07515970430

07812429152

Mohamadaljnaby80@gmail.com

مجلة العلوم الإسلامية
المجلد 1 | العدد 43
www.isscj.edu.iq

Journal of Islamic Sciences
Vol.1 | Issue 43
ISSN: 2225-9732

August 2026

ملخص

تناول البحث موضوع (شكاوى النساء بين يدي خاتم الانبياء) من خلال كتب الحديث والسيرة والتفسير، وهو من الموضوعات التي لم تدرس بشكل وافي، وخصوصا الشكاوى من الصحابيات اللاتي كانت لهن مرافعات وشكايات واستفتاءات، ويسعى الباحث الى جمع الادلة والبيانات المتصلة بالموضوع وتعليق العلماء عليها، ويعمل على جمع ودراسة عدد من الشكاوى وما صاحبها من توجيهات نبوية، وقد سجلت شكاوى اجتماعية واخرى صحية، وكان عرض الشكاوى يمثل صورة من حرية التعبير والبحث عن دور رسالي يتناسب مع شخصيتها، وكان لزوجات النبي وبناته وصحابته من النساء نصيبهن من ذلك، وتكمن أهمية البحث في تعلقه بالسنة النبوية وصلته بالمرأة وحياة الناس اليومية، وهذه الشكاوى تمنح الرجل والمرأة مفاتيح البيت السعيد؛ لأن الشكاوى مكررة في أسبابها ومناسباتها غير أن شخوصها يتغيرون.

الكلمات المفتاحية: شكاوى، نساء، خاتم، الانبياء.

Summary:

The research dealt with the topic (complaints of women in the hands of the ring of prophets) through the books of Hadith, biography and interpretation, which is one of the topics that have not been adequately studied, especially complaints from female companions who had pleadings, complaints and referendums, and the researcher seeks to collect evidence and data related to the subject and the comment of scholars on them, and works to collect and study a number of complaints and their accompanying prophetic guidance, social and other health complaints were recorded, and the presentation of complaints represented a form of freedom of expression and the search for a messenger role commensurate with her personality, and the wives and daughters of the Prophet the importance of research lies in its relation to the prophetic Sunnah and its connection with women and people's daily lives, and these complaints give men and women the keys to a happy home, because complaints are repeated in their causes and occasions, but their personalities change.

مجلة العلوم الإسلامية
المجلد 1 | العدد 43
www.isscj.edu.iq

Journal of Islamic Sciences
Vol.1 | Issue 43
ISSN: 2225-9732

August 2026

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، القائل فيما جاء عن النعمان بن بشير (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»(١)

أما بعد: فإن السنة النبوية هي المصدر الثاني في التشريع الاسلامي، وقد جاءت بالمثل العليا، ومن هنا كان سبب اختيار موضوع (شكاوى النساء بين يدي خاتم الانبياء) والتي تعرض لحاجات النساء ومشكلاتها في الجانب الاجتماعي والصحي، ومن هذه الدراسة أثبتت المرأة حضورها وتفاعلها في نصرة الدين بوصفها ركنا من أركان المجتمع الاسلامي، والمرأة الشاكية هي مرآة للحالة الطبيعية عند النساء، ونقف على نموذج من الشكاوى، التي نجدها مادة بناء في المسيرة النبوية المباركة وإحدى أساليب التربية للمرأة الشاكية، وقسمت البحث على مقدمة و مبحثين وخاتمة. الأول: شكاوى النساء في الجانب الاجتماعي، والمبحث الثاني: شكاوى النساء في الجانب الصحي، ثم خاتمة لخصت أهم النتائج التي توصل اليها البحث، والحمد لله رب العالمين

مشكلة البحث: مع كثرة الدراسات التي تناولت حياة الصحابيات ودورهن في خدمة الإسلام غير أن الباحث لم يقف على دراسة منهجية تناولت شكاوى النساء عند النبي صلى الله عليه وسلم ويسعى الباحث الى جمع الشواهد على الموضوع في بحثه.

أهمية البحث: تسليط الضوء على شكاوى النساء بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، مع ادلتها من كتب الحديث والسيرة والتفسير.

إجراءات البحث: استندت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، والاستفادة من هذا المنهج في جمع المادة العلمية وتوثيق شواهد من النصوص والأدلة الشرعية.

(١) مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١ ه)، صحيح مسلم، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، (مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٥٥)، ج٤، ص١٩٩٩، الرقم٢٥٨٦.

المبحث الأول: الشكاوى الاجتماعية لزوجات النبي ﷺ وصحابته من النساء.

عرضت بين يدي النبي ﷺ شكاوى كثيرة للنساء، عن طريق السماع المباشر والملاحظة، أو حكاية عمن ينوب عن صاحبة الشكوى، وبالتلميح تارة دون التصريح، وبصورة الصمت الموصول بالدموع، وكانت أولاهن زوجاته وبناته من صلبه، ثم نساء الصحابة، وكان النبي يسمع لهن ويجيب على مسائلهن بما يعود عليهن بقوة إيمان، وشفاء قلب وانبعاث روح، بلا تردد ولا تثاقل نحو الواجب تعبدا واحتسابا، وفيما يلي نماذج من الشكاوى على شكل فقرات.

أولا: شكوى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك.

جاء خبر الشكوى مفصلا كأنه مشهد مصور، وكان ذلك بعد (غزوة بني المصطلق)، ننصت الى السيدة عائشة وهي تصف حالها، وتبث شكواها، ثم تنزل براءتها في آيات تتلى من سورة النور قالت: «خرجت معي أم مسطح ... فأخبرتني بقول أهل الإفك فازددت مرضا على مرضي فلما رجعت إلى بيتي ودخل علي رسول الله ﷺ ثم قال: كيف تيكم؟ فقلت: أتأذن لي أن آتي أبوي؟ قالت: وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما قالت: فأذن لي، فجئت أبوي فقلت لأمي: يا أمتاه ما يتحدث الناس؟ قالت: يا بنية هوني عليك فو الله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل ولها ضرائر إلا كثرن عليها، فقلت: سبحان الله ولقد تحدث الناس بهذا قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، قد بكيت ليلتين ويوما، حتى إني لأظن أن البكاء فالق كبدي، فبينا أبواي جالسان عندي وأنا أبكي، فاستأذنت علي امرأة من الأنصار فأذنت لها، فجلست تبكي معي، قالت: فبينا نحن على ذلك دخل رسول الله علينا فسلم ثم جلس، قالت: لم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها، وقد لبث شهرا لا يوحى إليه في شأني بشيء، قالت: فتشهد، ثم قال: أما بعد، ياعائشة، إنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت برِيئة، فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب، فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف ثم تاب، تاب الله عليه. قالت: عائشة: فلما قضى رسول الله مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبي: أجب رسول الله عني فيما قال، فقال أبي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله فقلت لأمي: أجيبي رسول الله فيما قال، قالت أمي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله، فقلت: وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيرا: إني والله لقد علمت: لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم: إني بريئة، لا تصدقوني، ولئن اعترفت لكم بأمر، والله يعلم أني منه بريئة، لتصدقني، فوالله لا أجد لي ولكم مثلا إلا أبا يوسف حين قال: {فصبر

جميل والله المستعان على ما تصفون}... كنت أرجو أن يرى رسول الله في النوم رؤيا يبرئني الله بها، فوالله ما رام رسول الله مجلسه، ولا خرج أحد من أهل البيت، حتى أنزل عليه ... قالت: فسرى عن رسول الله وهو يضحك، فقال: يا عائشة، أما والله فقد برأك «(١)

وجاء لفظ الشكوى في رواية أخرى عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: «أتاني رسول الله ﷺ فقال: اتقي الله ياعائشة، وإن كنت قارفت من هذا شيئا فتوبي الى الله، فإن الله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، قالت: وطلبت اسم يعقوب فلم أقدر عليه، فقلت: غير أني أقول كما قال أبو يوسف ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦]» (٢)

ولما نزل الوحي في براءة الزوجة الطاهرة، قال أبو بكر لعائشة: «قومي فاحتضني رسول الله، فقالت: لا والله لا أدنو منه، فقام أبو بكر، فاحتضن النبي ﷺ، فسري عنه وهو يبتسم، فقال: عائشة قد أنزل الله عذرك، قالت: بحمد الله لا بحمدك، فتلا عليها رسول الله ﷺ سورة النور إلى الموضع الذي انتهى خبرها وعذرها وبراءتها، فقال رسول الله ﷺ: قومي الى البيت، فقامت وخرج رسول الله ﷺ إلى المسجد فدعا أبا عبيدة بن الجراح فجمع الناس ثم تلا عليهم ما أنزل الله عز وجل من البراءة لعائشة»(٣)

وكان تأخرها في قبول طلب أبيها يعكس شدة الألم النفسي وما خلفته تلك الفرية الظالمة والبهتان العظيم من وجع في قلبها، ونطقت بالحمد تعبدا وشكرا لله، ثم تخبر بعد حين عن الأثر النفسي الذي يتركه انصراف الرجل عن زوجته، في صورة من غياب اللطف المعهود» وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ، اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل رسول الله ﷺ فيسلم، ثم يقول: كيف تيكم؟ فذاك يريبني» (٤)، وكان لهذه الفرية الظالمة أثرها الكبير، أحدثت صدمة نفسية كبيرة لم تتماسك قواها في مواجهتها وهذا شأن كل

(١) ينظر البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، تحقيق، مصطفى ديب البغا، ط٥، (دار ابن كثير، دمشق، ١٩٩٣)، ج٤، ص١٥١٧، الرقم ٣٩١٠.

(٢) الطبراني، ابو القاسم سليمان بن احمد (ت٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، تحقيق، حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، (مطبعة الزهراء، الموصل، ١٩٩٠)، ج٢٣، ص١١٨، الرقم١٥٣.

(٣) الطبراني، المعجم الكبير، ج٢٣، ص١٢٥، الرقم ١٦٤.

(٤) مسلم، صحيح مسلم، ج٤، ص٢١٢٩، الرقم٢٧٧٠.

حرة عفيفة، فعن أم رومان أم عائشة أنها قالت: «لما رميت عائشة خرت مغشيا عليها»[1]

ويخلص الباحث من هذه الخلجات القلبية التي خرجت من لسان عائشة رضي الله عنها لطائف تربوية، أن الزوج في ملاطفته زوجته عند المرض والصدمة والقلق وتراكم الهموم وسؤاله عنها ومتابعتها بين حين وآخر يذهب عنها الحزن ويخفف شدة المرض، ويتعاضد هذا الاهتمام مع الوصفة الطبية حتى يكون مكملا لأسباب الشفاء بإذن الله تعالى، وفقدان الاهتمام يضاعف المرض ويزيد الوهن، ويخنق الفرح ويسلب السعادة من القلوب، كذلك الحال بين الوالدين وأبنائهم، والأرحام مع أرحامهم، ونجد هذا المعنى في صورة عتاب عائشة لأبيها عتاب ابرار وتقبل عذره، كما ذكر مجاهد قال: «لما نزل عذر عائشة قام اليها أبو بكر رضي لله عنه فقبل رأسها فقالت: بحمد الله لا بحمدك، فهلا عذرتني ياأبه؟ قال: وكيف أعذرك يا بنية بما لا أعلم؟ وأي أرض تقلني، وأي سماء تظلني يوم أقول بما لا أعلم؟» [2]

ومما سبق نجد الأقربين الى الله هم الأكثر توسلا، إذ يبثون شكواهم اليه ويرفعون اليه مسائلهم، وكلما كانت صلتهم بالقرآن أوثق صرف الله به عنهم السوء لسوابق الاحسان، وعائشة (رضي الله عنها) تديم الثقة بينها وبين الحبيب محمد ﷺ برسائل القرآن حينما قرأت نصا مقتطعا من سورة يوسف ترفع شكايتها الى الله تعالى فيأتي الفرج في صورة نور يثلج الصدور في صدر سورة النور، وهذا يؤكد أنه من أعظم دلائل التسلي والمواساة في المصائب تلاوة القرآن، وكذا المحبون الأوفياء يقدمون مواساتهم بالدموع حين لا يجدون سبيلا لجبر الخواطر غير ذلك، يوم يكون الافتراء قاتل، وهذا الذي قامت به المرأة الأنصارِية حيث استأذنت، فجلست تبكي مع عائشة (رضي الله عنها)، وهذه النصرة بالدموع لم تنساها عائشة لأهلها، وكتب أثرها وبقي ذكرها في مدونات الحديث والسنن، دموع الأنصاف في مواجهة أصحاب الإفك والإرجاف، دموع غالية وثقيلة في الميزان، وكانت شكوى عائشة ثقيلة على كل المؤمنين، طويلة أيامها على النبي وأهل بيته وعلى أبويها وعائلتها حملوها وهنا على وهن امتدت شهرا بأيامه ولياليه، فمن شكوى في مرض الى شكوى من طعنة في عرض، «ولهذا كان من قذف النبي ﷺ يقتل لأنه قدح في نسبه، ومن قذف نسائه يقتل لأنه قدح في دينه وإنما لم يقتلهم النبي لأنهم تكلموا بذلك قبل أن يعلم

(١) البخاري، صحيح البخاري، ج٦، ص١٠٥، الرقم٤٧٥١.

(٢) ابن شبة، زيد بن عبيدة بن ريطة النميري البصري(ت٢٦٢هـ)، تاريخ المدينة، تحقيق، فهيم محمد شلتوت، (جدة، ١٩٧٨) ج١، ص٣٢٨.

براءتها وأنها من أمهات المؤمنين اللاتي لم يفارقهن» [١]

وفي سياق الحديث وتفاصيل الحادثة نجد أن قليل الورع يجد حلاوة عند الخوض في أعراض الناس بلسانه، وإذا كان المؤمن لا يأمن من الوقوع في الخطيئة «فليحذر الدعاة من الوقوع بمثل ماوقع فيه أصحاب الإفك، كما لو صدقوا أهل النفاق في طعنهم بعرض، أو بسيرة أمير جماعتهم متعلقين بالشبهات، التي ينشرها خصوم الدعوة كاتهام أميرهم بالعمالة، لكونه رؤي يتكلم مع بعض أعداء الدعوة أو يزورهم في سفارة بلادهم»[٢]

ثانيا: شكوى فاطمة بنت النبي ﷺ، وسبب ذلك أن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) خطب بنت أبي جهل، وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فلما سمعت بذلك فاطمة أتت رسول فقالت له «إن قومك يتحدثون أنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكحا بنت أبي جهل، فقام رسول الله ﷺ على المنبر، تشهد ثم قال: أما بعد، فإني أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدثني فصدقني، وإن فاطمة بنت محمد بضعة مني، وأنا أكره أن تفتنوها، وإنها والله لا تجتمع بنت رسول الله، وابنة عدو الله عند رجل واحد أبدا، قال: فترك علي الخطبة»[٣]، وتلك الشكاية كانت في ضرة، وهو مافطرت عليه النساء من الغيرة، وعند متابعة سيرة أخوات فاطمة (رضي الله عنهن)، نجد أن جميع بنات النبي ﷺ لم تجمع عليهن ضرائر في حياتهن، وهذا من حسن تبعلهن لأزواجهن وجميل وفاء بعولتهن، وترفعا عن إيذاء النبي فيهن وهذا الشأن يكون مع بنات الأكابر إجلالا وتوقيرا «لم يأذن النبي في نكاح علي ابنة أبي جهل، فجعل حكم ابنته حكمه في أنه لا يجوز أن يؤذى بمباح»[٤]

فيما جاء من شكايتها خشية الضيعة، إذ: «دخلت على رسول الله ﷺ في شكاته التي قبض فيها، فبكت حتى ارتفع صوتها، فرفع رسول الله ﷺ طرفه إليها، فقال: حبيبتي فاطمة ما الذي يبكيك؟ فقالت: أخشى الضيعة من بعدك. فقال: يا حبيبتي، أما علمت أن الله عز وجل اطلع إلى الأرض اطلاعة، فاختار منها أباك فبعث برسالته، ثم اطلع اطلاعة فاختار منها بعلك وأوحى

(١) ابن تيمية، احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبدالله (ت٧٢٨هـ)، مجموع الفتاوى، (مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، ٢٠٠٤)، ج٣٢، ص٨٠.

(٢) زيدان، عبد الكريم، المستفاد من قصص القران للدعوة والدعاة، ط١، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٩)، ص٦٤٧.

(٣) الطبراني، المعجم الكبير، ج٢٠، ص١٦، الرقم، ١٨.

(٤) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت، ٩١١هـ)، تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك، (المكتبة الثقافية، بيروت)، ج٣، ص٩٥.

إلي أن أنكحك إياه ...

يا فاطمة لا تحزني ولا تبكي؛ فإن الله عز وجل أرحم بك وأرأف عليك مني، وذلك لمكانك مني، وموضعك من قلبي، وقد سألت ربي عز وجل أن تكوني أول من يلحقني من أهل بيتي قال علي (رضي الله عنه): فلما قبض النبي ﷺ لم تبق فاطمة (رضي الله عنها) بعده إلا خمسة وسبعين يوما حتى ألحقها الله به ﷺ «(١)

وهذه الشكاية والوحشة تعكس شعور كل انسان حين يجد نفسه في لحطة من اللحظات، أنه فقد الوالدين الشفيقين، والاخوات المؤنسات، والاعمام والاخوال، يكتنفه شعور بالغربة كبير، ولا يهونه إلا اليقين، فكيف إذا كانت هذه المشاعر تغلي في قلب امرأة، أواه ياأواه، شعور يعلو صوته في بكاء فاطمة (رضي الله عنها)، وترى صورته في دمع سكيب على فقد الوالد الحبيب والنبي الرحيم، يلقي في قلبها وديعة تزيل الخوف من المستقبل عنوانها (الله أرحم بك وأرأف عليك مني، وأول من يلحقني من أهل بيتي).

ثالثا: أم أبو هريرة (رضي الله عنها)، والدة تشتكي ولدها لما أراد أن يتركها لعجزها، مؤثرا تلبية واجب الجهاد على عبادة البر، عن أبي أمامة (رضي الله عنه) قال: «قال رسول الله ﷺ: تجهزوا إلى هذه القرية الظالم أهلها يعني خيبر، فإن الله فاتحها عليكم إن شاء الله، ولا يخرجن معي ضعيف ولا مضعف، فانطلق أبو هريرة إلى أمه، فقال: جهزيني، فإن رسول الله ﷺ قد أمرنا بالجهاز للغزو، فقالت: تنطلق وتتركني، وقد علمت أني ما أدخل المرفق، إلا وأنت معي، فقال: ما كنت لأتخلف عن رسول الله ﷺ، فأخرجت ثديها فناشدته بما رضع من لبنها، فأتت رسول الله ﷺ سرا فأخبرته، فقال: انطلقي فقد كفيت، فأتاه أبو هريرة، فأعرض عنه رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، قد أرى إعراضك عني لا أرى ذلك إلا لشيء بلغك، قال: أنت الذي تناشدك أمك، وأخرجت ثديها تناشدك بما رضعت من لبنها، فلم تفعل، أيحسب أحدكم إذا كان عند أبويه أو أحدهما أن ليس في سبيل الله؟ إذا برهما وأدى حقهما. قال: أبو هريرة: لقد مكثت بعد ذلك سنتين ما أغزو حتى ماتت»(٢).

وفي هذه القصة رسالة الى الابناء أن لا يتهاونوا بعبادة البر والخدمة، فقد تكون شكاية من أمّ في السر بينها وبين الله على ولدها سببا في التضييق وفقدان مفاتيح التوفيق، وكم من الأبناء في

(١) الطبراني، المعجم الكبير، ج٣، ص٥٧، الرقم ٢٦٧٥.
(٢) الطبراني، المعجم الكبير، ج٨، ص٢٣٨، الرقم٧٨٩٧. ((

هذا الزمان يتساهلون في إيداع أمهاتهم في دور العجزة وحواضن الرعاية الاجتماعية استرضاء لهوى زوجة غالب، أو تقديم رغبة وميول شخصية على واجب.

رابعا: شكوى خولة بنت ثعلبة (رضي الله عنها)، وقصتها مع زوجها أوس بن الصامت وهو أخو عبادة بن الصامت (رضي الله عنهم)، تلخص جوانب شكوى اجتماعية تدخل في تفاصيل ويوميات عائلية في بيت من بيوت الأنصار، والنبي ﷺ يستمع لها، حيث نتعلم من هذا الاستماع أنه من أرادان يقدر الناس، يجب أن يصغي إليهم ويستمع، فذلك كفيل بتفجير الطاقات العملية وتمتين الروابط الإيمانية وسببا لإدامة العلاقات الاجتماعية وتحقيقا لهداية التشاور القرآنية، حيث جاء في الحديث عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: «تبارك الذي وسع سمعه كل شي، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه، وهي تشتكي زوجها الى رسول الله ﷺ وتقول: يا رسول الله! أكل شبابي ونثرت له بطني، حتى إذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك! فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾»[1].

خولة هذه الصحابية الحرة الكريمة الجريئة تقوم برفع قضيتها الى أعلى سلطة قضائية، بلا زيادة ولا نقصان، وكأن السامع والقارئ يطلع على مهارة نادرة لمحامية تحسن عرض الحجج والأدلة لاستردا حق لها يكاد يضيع بالصمت، «كانت حسنة الجسم، فرآها زوجها ساجدة فأعجبه أمرها، فلما انصرفت أرادها فأبت فغضب عليها فقال لها: أنت علي كظهر أمي، وكان الإيلاء والظهار من الطلاق في الجاهلية، فسألت النبي ﷺ فقال لها: (حرمت عليه) فقالت: والله ما ذكر طلاقا، ثم قالت: أشكو إلى الله فاقتي ووحدتي ووحشتي وفراق زوجي وابن عمي وقد نفضت له بطني، فقال: (حرمت عليه) فما زالت تراجعه ومراجعها حتى نزلت عليه الآية. وروى الحسن: أنها قالت: يا رسول الله! قد نسخ الله سنن الجاهلية وإن زوجي ظاهر مني، فقال رسول الله ﷺ، (ما أوحى إلي في هذا شي) فقالت: يا رسول الله، أوحي إليك في كل شي وطوي عنك هذا؟! فقال: هو ما قلت لك، فقالت: إلى الله أشكو لا إلى رسوله» [2].

(١) ابن ماجة، ابو عبدالله محمد بن يزيد القزويني(ت٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجة، المحقق شعيب الارناؤوط، عادل مرشد، واخرون، ط١، (دار الرسالة العالمية، ٢٠٠٩)، ج١، ص٦٦٦، الرقم٢٠٦٣.

(٢) القرطبي، ابو عبدالله محمد بن احمد الانصاري (ت٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القران، تحقيق احمد البردوني، وابراهيم طفيش، ط٢، (دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤)، ج١٧، ص٢٧٠.

تأمل في تكرار مراجعتها وطريقة عرض افادتها بين يدي النبي حيث ذكرت أحوال، كل منها صورة معبرة عن شكوى (فاقتي، ووحدتي، وحشتي، وفراق زوجي) وصف ينزف ألما ووجعا من لفظ الكلمات، كما تجد نفسك في مواجهة شخصيتها القوية التي تروح وتجيء طلبا لحل دون استسلام للعجز، وجاء نزول أول الآيات من سورة المجادلة في رجل اشتكته زوجته الى الله، وجادلته الى رسول الله، لما حرمها على نفسه بعد طول صحبة وكانت أول آية ختمت بسمع الله وعلمه.

امرأة تعرض مشكلة شخصية فتتحول الى قضية كبرى، وقصتها تمثل صورة من تهميش المجتمع لسماع الضعفاء ومن لانصير لهم، شكواك مسموعة أيها المظلوم أنينك مسموع أيها المهضوم «تضرعت الى الله، رفعت قصتها ونشرت غصتها بين يدي الله»(١).

ونلتقط من النص رسالة أن المرأة الموفقة تكون حريصة على اسرتها وتعمل على ادامة تماسك بيتها تماسكا يقر عين النبي ﷺ، كما يظهر لنا جانب من البر بين الرجل وزوجته وإن تظاهرا في لحظة انفعال، على شريعة لا تنسوا الفضل بينكم.

يرشدنا الله تعالى في هذه الآيات الى وجوب الاستماع الى مشاكل الناس، وأهمية ذلك حتى وان كانت الشكوى عليك، فأن الغضب لا يرفع التكليف عن الانسان، كما أن الشكوى لا تنافي الصبر، بل هي عبادة وابتغاء وسيلة الى الله وحل معضلة، ونجد من الوسائل النبوية في كسب قلوب البرية قضاء حوائجهم، والاستماع اليهم على نحو من السماحة في المعاملة.

خامسا: شكوى هند بنت عتبة (رضي الله عنها)، كانت شكواها في حق النفقة على البيت من قلة، وذلك: أن هند بنت عتبة قالت: «يارسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح، وليس يعطيني مايكفيني وولدي إلا ما أخذت منه، وهو لا يعلم، فقال: خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف» (٢).

وقد ذكر الشعراوي (رحمه الله تعالى) القصة بهذا السياق «اشتكت هند زوجة أبي سفيان لرسول الله ﷺ من بخل زوجها فقال لها: خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك وولدك» (٣)، بل

(١) القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت ٤٦٥هـ)، لطائف الاشارات، تحقيق إبراهيم البسيوني، ط٣، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر)، ج٣، ص٥٤٨.
(٢) البخاري، صحيح البخاري، ج٥، ص٢٠٥٢، الرقم٥٠٤٩ .
(٣) الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، (مطابع اخبار اليوم، ١٩٩٧)، ج٢، ص٨٣٠.

جعل الأجر لها ولزوجها على السواء فهم فيه شركاء، حتى لو كان بغير علمه بشرط إن يكون إنفاقها من دون إسراف، وعظم المقام لا يتقاطع مع معرفة الحدود والمهام، وفي قصة هند في بيان حالها مع زوجها بين يدي النبي ﷺ «دليل على أن الأم هي المتصرفة في معاش أولادها، وفيه دليل على جواز خروج النساء لطلب حقهن إذا لم يكن معهن من يقوم عنهن، ولم تكن تقصد تنقيصا من صاحبها وانما هو من ضرورة وصف حاله، وقيل أنه من باب المدح بحسب عادة العرب؛ لأن الذي يشح عندهم على عياله إنما هو من أجل اعتنائه بالأضياف والخصب عليهم فيلحق الضرر من ذلك العيال فهي لفظة باطنها خلاف ظاهرها»[1]، ومن مهام النساء أنهن حافظات لأسرار أزواجهن وأموالهم.

سادسا: شكوى في عنف اسري

أ: - زوجة صفوان بن المعطل (رضي الله عنهما)، عن أبي سعيد، قال: «جاءت امرأة إلى النبي ﷺ، ونحن عنده فقالت: يا رسول الله، إن زوجي صفوان بن المعطل يضربني إذا صليت ويفطرني إذا صمت، ولا يصلي صلاة الفجر حتى تطلع الشمس، قال: وصفوان عنده، قال: فسأله عما قالت، فقال: يا رسول الله، أما قولها يضربني إذا صليت، فإنها تقرأ بسورتي وقد نهيتها، قال: فقال: لو كانت سورة واحدة لكفت الناس، وأما قولها يفطرني، فإنها تنطلق فتصوم وأنا رجل شاب فلا أصبر، فقال رسول الله ﷺ يومئذ: لا تصوم امرأة إلا بإذن زوجها، وأما قولها إني لا أصلي حتى تطلع الشمس، فإنا أهل بيت قد عرف لنا ذاك، لا نكاد نستيقظ حتى تطلع الشمس، قال: فإذا استيقظت فصل»[2].

اشتكت زوجها وجها لوجه عند النبي ﷺ، في ضرب ومصادرة حقها بنوافل الصوم، وفي تأخره عن صلاة الفجر، فكان التوجيه لها في بعض الأمر لتخرج من الحرج في حق الزوج، وقبول حجته وتصويب وجهته، وقد جاء تأكيد آخر يؤكد سبب تأخره في الغزوات «وهو أنه كان ثقيل النوم لا يستيقظ حتى يرتحل الناس»[3].

(١) ابو جمرة، عبدالله الازدي الاندلسي، بهجة النفوس وتحليها بمعرفة مالها وما عليها، ط٣، (دار الجيل، بيروت، ١٩٨٤)، ج٢، ص٢٢٢.

(٢) أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت٢٧٥ ه)، سنن أبي داوود، تحقيق، شعيب الأرناؤوط، محمد كامل قره بللي، ط١، (دار الرسالة العالمية، ٢٠٠٩)، ج٤، ص١١٩، رقم٢٤٥٩.

(٣) السهيلي، عبد الرحمن بن عبدالله بن أحمد(ت٥٨١ه)، الروض الآنف، ط١، (دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٩)، ج٦، ص٤٣٧

وإن من أكثر الأمور استفزازا للرجل أن تتسلط المرأة على زوجها، بتنزيل أحكاما شرعية عليه، وتنزله منزلة الجهالة في الدين، فإنه «لا يأثم من أخر الصلاة لعذر النوم أو النسيان، لأنه ليس في النوم تفريط إنما التفريط في اليقظة»(١)

ب: - شكوى سلمى زوجة أبا رافع من زوجها (رضي الله عنهما)، عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: أتت سلمى مولاة رسول الله ﷺ أو امرأة أبي رافع مولى رسول الله إلى رسول الله ﷺ تستأذنه على أبي رافع قد ضربها قالت: قال رسول الله لأبي رافع «ما لك ولها يا أبا رافع؟ قال: تؤذيني يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: بم آذيتيه يا سلمى؟ «قالت: يا رسول الله، ما آذيته بشيء، ولكنه أحدث وهو يصلي، فقلت له: يا أبا رافع إن رسول الله ﷺ قد أمر المسلمين إذا خرج من أحدهم الريح أن يتوضأ، فقام فضربني، فجعل رسول الله ﷺ يضحك ويقول: يا أبا رافع إنها لم تأمرك إلا بخير»(٢)

الرجل يختنق ويتأذى حين تشعره بالجهالة، وقد يكون نصحها مختلط بسخرية، غير أن معلم الناس الخير ضحكته فاتحة خير عليهما وعلى كل طالب علم، وعليه أن يقبل النصح مادام يدور في معنى (لم تأمرك إلا بخير)، وقد تكون المرأة أفقه من الرجل في بعض الأحكام الشرعية والمسائل الفقهية، فليس له أن يستكبر على الحق إن علم أنه مستند الى دليل.

ت: - عن إياس بن عبد الله بن أبي ذباب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تضربن إماء الله، فجاء عمر فقال: يارسول الله ذئر النساء، على أزواجهن، فرخص في ضربهن، فأطاف بآل محمد صلى الله عليه وسلم نساء كثير يشكون أزواجهن، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد أطاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن وليس أولئك بخياركم»(٣)

وكان عدد من أطاف من النساء في ليلة واحدة (٧٠) امرأة كما في الحديث «لقد طاف بآل محمد الليلة سبعون امرأة كلهن يشتكي الضرب» (٤) وردت التعليمات النبوية بمنع ضرب النساء، فشكى الرجال تنمر النساء على أزواجهن، فرخص به للتأديب وليس للتعذيب، فعاد

(١) الزحيلي، وهبة بن مصطفى، الفقه الاسلامي وأدلته، ط٦، (دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٨)، ج٢، ص١٢٦.
(٢) ابن حنبل، أبو عبدالله احمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشباني(ت٢٤١هـ)، مسند احمد، تحقيق، شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، وآخرون، ط٢، (مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١)، ج٤٣، ص٣٦٠، الرقم٢٦٣٣٩
(٣) أبو داود، سنن أبي داود، ج٣، ص٤٧٠، الرقم٢١٤٥.((
(٤) الطبراني، المعجم الكبير، ج١، ص٢٧٠، الرقم٧٨٦.

النساء يشتكين مرة أخرى، فكف النبي صلى الله عليه وسلم أكف الرجال عن أزواجهم بكلمة واحدة (ليس أولئك بخياركم)، فصار الرجال يتحرجون من الضرب، أن ينزع عنهم وصف الخيرية.

وعن عمر مرفوعا «لا يسأل الرجل فيما ضرب امرأته» (١)، لماذا لا يسأل الرجل ؟ لدوام حسن الظن، وبقاء حجاب الستر بعيدا عن الفضول والتسمع.

سابعا: شكوى صامتة لأم الدرداء (رضي الله عنها) من انصراف زوج وتفرغه للعبادة، لما آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبو الدرداء (رضي الله عنهما)، «زار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا فجاء أبو الدرداء، فصنع له طعاما، فقال: كل، قال: فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان من آخر الليل، قال سلمان: قم الآن، فصليا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: صدق سلمان»(٢) شكوى عرضت على النبي مدخلاتها ومخرجاتها بعد الفتوى فتقرر الجواب كما هو تصديقا لسلمان.

ثامنا: شكوى درة بنت أبي لهب (رضي الله عنها) في ذنب غيرها، عن أبي هريرة وعمار بن ياسر (رضي الله عنهما)، قالوا: «قدمت درة بنت أبي لهب المدينة مهاجرة فنزلت دار رافع بن المعلى الزرقي فقال لها نسوة جالسين اليها من بني زريق أنت بنت أبي لهب الذي يقول الله عز وجل ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ٢] ما يغني عنك مهاجرك؟، فأتت النبي ﷺ: فشكت اليه ما قلن لها فسكنها وقال: اجلسي، ثم صلى بالناس الظهر، وجلس على المنبر ساعة ثم قال: أيها الناس ما لي أوذي في أهلي فوالله إن شفاعتي لتنال حي حا، وحكم وصداء وسلهب يوم القيامة»(٣).

نهى النبي ﷺ عن سب الأموات، لأنه يؤذي الأحياء، كما أنه ليس من خلق الأنبياء ولا يعاير أحد بذنب غيره، أو يتنقص بسبب سوابق سلفت من أهله.

(١) أبو داود، سنن أبي داود، ج٣، ص٤٨٠، الرقم٢١٤٧.
(٢) البخاري، صحيح البخاري، ، ج٢، ص٦٩٤، الرقم ١٨٦٧.
(٣) ((الطبراني، المعجم الكبير، ج٢٤، ص٢٠٤، الرقم٦٦٠

تاسعا: شكوى في منع زوج زوجته صلة أبيها، عن أنس (رضي الله عنه) ذكر» أن امرأة كانت تحت رجل، فمرض أبوها، فأتت النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله، إن أبي مريض، وزوجي يأبى أن يأذن لي أن أمرضه، فقال لها النبي ﷺ: أطيعي زوجك، فمات أبوها، فاستأذنت زوجها أن تصلي عليه، فأبى زوجها أن يأذن لها في الصلاة، فسألت النبي ﷺ، فقال: أطيعي زوجك، فأطاعت زوجها، ولم تصل على أبيها، فقال لها النبي ﷺ: قد غفر الله لأبيك بطواعيتك لزوجك»[1].

يكشف لنا الحديث أن طاعة المرأة لزوجها وصبرها عليه، فيما يشق عليها، باب من أبواب الرحمة للطائعة، ومغفرة لوالديها، وقد يكون منع الرجل لزوجته من صلة بيت أبيها، يعود عليه وعليها بمصلحة خفي عليها أمرها، فإن بعض البيوت تكثر من التقصي وتتبع شؤون الرجل مع زوجته حتى يتجرأ الأهل على تحريض المرأة على زوجها، أو تذهب الى مقارنة زخرف البيوت مع التقشف الذي تقيم عليه في بيتها فيفسد عليها سكينة الدار، وقد يكون المنع ناشئ عن خصومة لم يكتمل سعي الإصلاح فيها.

عاشرا: شكوى زواج لا يوافق المزاج

أ: - شكوى الغميصاء، عن عبيد الله بن العباس، قال: «جاءت الغميصاء، الى رسول الله ﷺ تشكو زوجها، تزعم أنه لا يصل إليها، فما كان إلا يسيرا حتى جاء زوجها، فزعم أنها كاذبة، وإنما تريد أن ترجع إلى زوجها الأول، فقال رسول الله ﷺ: ليس لك ذاك حتى يذوق عسيلتك رجل غيره»[2].

ب: - شكوى تميمة زوجة عبد الرحمن بن الزبير، عن عكرمة: أن رفاعة طلق امرأته، فتزوجها عبد الرحمن بن الزبير القرظي، قالت عائشة: وعليها خمار أخضر، «فشكت إليها وأرتها خضرة بجلدها، فلما جاء رسول الله ﷺ، والنساء ينصر بعضهن بعضا، قالت عائشة: ما رأيت مثل ما يلقى المؤمنات؟ لجلدها أشد خضرة من ثوبها، قال: وسمع أنها قد أتت رسول الله ﷺ، فجاء

(١) بن حميد، أبو محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكسي (ت ٢٤٩هـ)، المنتخب من مسند عبد بن حميد، تحقيق، صبحي السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي، ط١، (مكتبة السنة، القاهرة، ١٩٨٨)، ص٤٠٤، الرقم ١٣٦٩

(٢) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت ٦٣٠هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق، علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، ط١، (دار الكتب العلمية، ١٩٩٤)، ج٣، ص٥١٩، ٣٤٧٠.

ومعه ابنان له من غيرها، قالت: والله ما لي إليه من ذنب، إلا أن ما معه ليس بأغنى عني من هذه، وأخذت هدبة من ثوبها، فقال: كذبت والله يا رسول الله، إني لأنفضها نفض الأديم، ولكنها ناشز، تريد رفاعة، فقال رسول الله ﷺ: فإن كان ذلك لم تحلي له، أو: لم تصلحي له، حتى يذوق من عسيلتك. قال: وأبصر معه ابنين له، فقال: بنوك هؤلاء قال: نعم، قال: هذا الذي تزعمين ما تزعمين، فوالله لهم أشبه به من الغراب بالغراب»[1].

قطع عليها رسول الله ﷺ الطريق، لكي لا تكون ألعوبة بين هواها ومشتهاها، ويتفكك المجتمع، وقد شكت حالها مع زوجها كونه، «ليس معه مما يبلغ به النساء الى اغراضهن تعني في النكاح، لأن فرجه مثل هدبة الثوب تتدلى، وفيه دليل على أن البشر معذورون فيما جبلت عليه البشرية من احتياجاتهم الى الاكل والشرب والجماع، وأنهم معذورون التسبب الى ما يزيلون به ذلك إذا لم يقدر على الصبر عنه، هذه المباركة لم تقدر أن تستغني عن النكاح لقوة الباعث عليها في ذلك، فشكت ذلك لرسول الله فعذرها في الشكوى لأنه لم يثرب عليها ولا زجرها، ولم يعذرها في قاعدة الشرع حتى تذوق هي وهو العسيلة»[2].

المبحث الثاني: الشكاوى الصحية لزوجات النبي وصحابته من النساء.

نجد في ثنايا البحث أن الشكاوى الصحية تدور بين حالات مزمنة وأخرى طارئة مؤقتة ولها علاجها ببيانات نبوية وأحكام فقهية.

أولا: شكوى أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)

أ: - الخبر تذكره عائشة (رضي الله عنها) حيث قالت في وصف المشهد: «قدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهرا والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك لا أشعر بشيء من ذلك وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي إنما يدخل علي، فيسلم ثم يقول: كيف تيكم؟ ثم ينصرف فذاك الذي يريبني ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعد ما نقهت»[3]، وصفها وملاحظتها التربوية تنم عن نباهة عظيمة من امرأة عظيمة بقولها «يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه

(١) البخاري، صحيح البخاري، ج٥، ص٢١٩٢، الرقم٥٤٨٧.
(٢) ابو جمرة، بهجة النفوس، ج٣، ص٣٢ - ٣٣.
(٣) البخاري، صحيح البخاري، ج٤، ص١٥١٧، الرقم٣٩١٠.

حين أشتكي، إنما يدخل رسول الله ﷺ فيسلم، ثم يقول: كيف تيكم؟ فذاك يريبني»[١].

وفي رواية ذكرت عائشة (رضي الله عنها) وصفا للشكوى فقالت «اشتكيت شكوى شديدة ...، إلا أني قد أنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه بي، كنت إذا اشتكيت رحمني ولطف بي، فلم يفعل ذلك بي في شكواي تلك، فقد أنكرت ذلك منه، وكان إذا دخل وعندي أمي تمرضني قال: كيف تيكم؟ لا يزيد على ذلك، حتى وجدت في نفسي، فقلت: يا رسول الله حين رأيت ما رأيت من جفائه لي لو أذنت لي فانتقلت إلى أمي فمرضتني؟ فقال: لا عليك قالت: فانتقلت إلى أمي، ولا أعلم بشيء مما كان، حتى نقهت من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة»[٢].

السؤال ومتابعة الاحوال المقرونة باللطف والرحمة، وتهيئة من ينوب عنه في التطبيب والاهتمام حين ينزل بالزوج مايشغله من هموم تذهله عن القيام بواجب الزوجية، ذاك هدي متبع وطريقة نبوية، وقولها (لا أرى اللطف الذي أعهد منه حين أمرض) يؤكد أن «السنة في المريض أن يلطف به، وأنها شعرت نقصا فيما اعتادت عليه، وذلك أنه أظهر لها من الهجران شيئا ما، سدا للذريعة؛ لأن الغيرة من الدين، ولو لم يفعل النبي ذلك لأدى الى ترك الغيرة، وقد يقال في غيرها شيء مما قيل فيها أو ما يشبهه فيترك الامتعاظ لذلك اقتداء به، والامتعاظ لذلك شعوره بالغيرة، والغيرة شعبة من الإيمان ففعل ذلك لأجل هذا المعنى» [٣].

ب: - عن عائشة (رضي الله عنها)، أنها قالت: «خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حجة الوداع، فأهللنا بعمرة، ثم قال رسول الله ﷺ: من كان معه هدي فليهل بالحج مع العمرة، ثم لا يحل حتى يحل منهما جميعا، قالت: فقدمت مكة وأنا حائض، لم أطف بالبيت ولا بين الصفا والمروة، فشكوت ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال: انقضي رأسك، وامتشطي، وأهلي بالحج، ودعي العمرة، قالت: ففعلت، فلما قضينا الحج، أرسلني رسول الله ﷺ مع عبد الرحمن بن أبي بكر إلى التنعيم، فاعتمرت، فقال: هذه مكان عمرتك، فطاف الذين أهلوا بالعمرة بالبيت وبالصفا والمروة، ثم حلوا، ثم طافوا طوافا آخر بعد أن رجعوا من منى لحجهم، وأما الذين كانوا جمعوا الحج والعمرة، فإنما طافوا طوافا واحدا «[٤]، فصار التنعيم مكانا لبدء إحرام لسكان الحرم،

(١) مسلم، صحيح مسلم، ج٤، ص٢١٢٩، الرقم٢٧٧٠.
(٢) بن شبة، تاريخ المدينة، ج١، ص٣٢٨.
(٣) ابو جمرة، بهجة النفوس، ج٣، ص٥٢.
(٤) مسلم، صحيح مسلم، ج٢، ص٨٧٠، الرقم١٢١١.

وأهل الآفاق لمن أراد أن يعدد عمرته، أو أن ينشئ عمرة جديدة، ولمن قطع عمرته لعذر.

ثانيا: شكوى فاطمة بنت النبي ﷺ شدة تعبها، جاء في الحديث الصحيح، باب التسبيح أول النهار «أن فاطمة اشتكت ما تلقى من الرحى في يدها، وأتى النبي ﷺ سبي، فانطلقت فلم تجده، ولقيت عائشة فأخبرتها، فلما جاء النبي، أخبرته عائشة بمجيء فاطمة إليها، فجاء النبي ﷺ إلينا، وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبنا نقوم فقال النبي: على مكانكما فقعد بيننا حتى، وجدت برد قدمه على صدري ثم قال: ألا أعلمكما خيرا مما سألتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما أن تكبرا الله أربعا وثلاثين، وتسبحاه ثلاثا وثلاثين، وتحمداه ثلاثا وثلاثين فهو خير لكما من خادم»(١).

وقد تشتكي المرأة في هذا الزمان الذي عظم فيه الزخرف وتزين في النفوس وتطاول البنيان، الرتابة في الحياة حد الملل من الروتين اليومي، فنقول لها لاتنسي نفسك يابنة الأكارم، فهذه بنت الكريم محمد ﷺ، وزوجة الكريم علي رضوان الله عليه، وقد يجيب بعضنا عن وصف حالته الاجتماعية من حيث الراحة والاكتفاء الذاتي بمثل هذا حين يسال كيف الحال؟ تعب وأثقال، وتقلب أحوال وكثرة عيال، فتأتي هذه الأذكار فتقوم مقام المسكنات والمهدئات والمقويات والمطيبات للنفوس الطيبة.

فيما ورد في حديث عن علي (رضي الله عنه) قال: «شكت لي فاطمة من الطحين فقلت: لو أتيت أباك، فسألتيه خادما، قال: فأتت النبي ﷺ، فلم تصادفه، فرجعت مكانها، فلما جاء أخبر، فأتانا، وعلينا قطيفة إذا لبسناها طولا خرجت منها جنوبنا، وإذا لبسناها عرضا خرجت منها أقدامنا ورؤوسنا، قال: يا فاطمة، أخبرت أنك جئت، فهل كانت لك حاجة؟ قالت: لا، قلت: بلى، شكت إلي من الطحين، فقلت: لو أتيت أباك، فسألتيه خادمان فقال: ألا أدلكما على ما هو خير لكما من خادم؟ إذا أخذتما مضاجعكما تقولان ثلاثا وثلاثين، وثلاثا وثلاثين، وأربعا وثلاثين، تسبيحة، وتحميدة، وتكبيرة»(٢).

إن تبني سيدنا علي لشكاية زوجته فاطمة بنت النبي ﷺ يعكس جانب من اهتمام الرجل بزوجته وحرصه على راحتها، ويؤشر أن الجهد مقدر عند أصحاب القدر، يواسيها ويتعاطف

(١) مسلم، صحيح مسلم، ج٨، ص٨٤، الرقم٢٧٢٧.

(٢) بن بلبان، الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩ ه)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق، شعيب الأرناؤوط، ط١، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٨)، ج١٥، ص٣٦٤، الرقم٦٩٢٢.

معها ويشير عليها، ويدلها على مفتاح الارتياح، فكانت هذه المفاتيح وسعت كل الامة لمن اراد ان يستخدمها ودخلت بيوت النساء تهمس بالذكر عوضا عن خادم يعيش اياما ويذهب ذكره في طي النسيان وتفقد الامة قيمة عظيمة، كما أن نقله للرواية عن زوجته يحمل توجيها تربويا مضمونه الإقرار بفضلها في مشاركة زوجها في تقاسم الأعباء المنزلية فكانت سيدة النساء مضرب مثل للنساء في نبلها وتحملها دون أن تشكو زوجها بل هي نعم العون.

المرأة تطبخ بيدها خير من حجز وجبات طعام سفري أو طلب دلفري، وتغسل بيدها خير من غسل مستأجر، وكنس الدار وتحمل المشقة خير من خادم يسبب غيرة وايغار، تتحمل وتكون مضرب مثل في الصبر، ويعظم قدرها في عين زوجها، وتأخذ أجرها من ربها، ومن فوائد هذا الحديث القيمة، إحالة الشاكي الى الانشغال بذكر الله، والتعبد بالصبر وطبخ الطعام بالذكر يجعله طيبا مباركا، وبسط الفراش بالذكر يجعله لينا وتعاهد البيت مع الذكر يجعله طاهرا نقيا، كما أن النبي لم يرتضي لابنته مسائل الدلال، ولا أن تختص بامتيازات دون سواها من النساء كما تفعل زوجات وبنات الرؤساء والزعماء اليوم، لكي لا تكون سنة متبعة من بعده، ومن هنا كان «إيثار النبي صلى الله عليه وسلم أهل الصفة والأرامل حين سألته فاطمة أن يخدمها»[1]، وذلك حينما «شكت إليه الطحن والطحين والرحى أن يخدمها من السبي فوكلها إلى الله تعالى»[2].

فمن واظب على الذكر ساعات العمل، وعند النوم «لم يصبه إعياء لأن فاطمة شكت التعب من العمل فأحالها صلى الله عليه وسلم على ذلك، ولا يتضرر بكثرة العمل ولا يشق عليه ولو حصل له التعب»[3]، وهكذا يحصل له بسبب المداومة على الأذكار قوة تمكنه من الاستمرار بالخدمة أكثر مما يقدر عليه الخادم.

ثالثا: شكوى فاطمة بنت أبي حبيش (رضي الله عنها)، جاء في باب غسل الدم، عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: » جاءت فاطمة بنت أبي حبيش الى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إني امرأة أستحاض فلا أطهر، أفأدع الصلاة؟ فقال رسول الله: لا، إنما ذلك عرق، وليس بحيض، فإذا أقبلت حيضتك فدعي الصلاة، وإذا أدبرت فاغسلي عنك الدم ثم صلي. قال: ثم توضئي

(١) ابن حجر، احمد بن علي العسقلاني(٨٥٢هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (دار المعرفة، بيروت، ١٩٦٠)، ج١، ص٤٨.
(٢) ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج٦، ص٢١٦.
(٣) ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج١١، ص١٢٥.

لكل صلاة، حتى يجيء ذلك الوقت»[١].

وفي مسند احمد «أن فاطمة بنت أبي حبيش، أتت النبي ﷺ فشكت إليه الدم، فقال لها رسول الله: إنما ذلك عرق فانظري، فإذا أتاك قرؤك فلا تصلي، فإذا مر القرء فتطهري ثم صلي ما بين القرء إلى القرء»[٢]، والمستحاضة لها حكم التخفيف ولو كان في ذلك تعب ومشقة، وعند الجمهور» يجب على المستحاضة ان تتوضأ لوقت كل صلاة، بعد أن تغسل فرجها وتعصبه، ولها الجمع بين الصلاتين بوضوء واحد عند الحنابلة؛ لان النبي أمر حمنة بنت جحش بالجمع بين الصلاتين بغسل واحد»[٣].

رابعا: شكوى أم هانيء (رضي الله عنها)، وذلك حينما كبرت سنها ووهن عظمها، «شكت إلى رسول الله ﷺ ضعفا، فقال لها: سبحي مائة تسبيحة، فإنها خير من مائة رقبة تعتقينها، واحمدي مائة مرة، فإنها خير من مائة فرس تحملين عليها في سبيل الله، وكبري مائة تكبيرة فإنها خير من مائة بدنة تهدينها إلى بيت الله، وقولي: لا إله إلا الله، وحده لا شريك، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، مائة مرة، فإنها خير مما بين السماء والأرض، ولن يرفع لأحد عمل أفضل منه، إلا من قال مثل ما قلت أو زاد»[٤].

خامسا: شكوى امرأة تشتكي عينها في حداد

أ: - عن زينب بنت أبي سلمة، عن أم سلمة، أخبرتها أن ابنة نعيم بن عبدالله العدوي، أتت النبي ﷺ، فقالت: «إن ابنتي توفي زوجها وكانت تحت المغيرة المخزومي، وهي تحد وتشتكي عينها أفتكتحل؟ فقال: لا ثم صمتت ساعة، ثم قالت: إنها تشتكي عينها فوق ما يظن أفتكتحل؟ قال: لا ثم قال: لا يحل لمسلمة أن تحد فوق ثلاثة أيام إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا»[٥].

(١) البخاري، صحيح البخاري، ج١، ص٦١، الرقم ٢٢٦.
(٢) ابن حنبل، مسند أحمد، ج٤٥، ص٣٥٠، الرقم٢٧٣٦٠.
(٣) الزحيلي، الفقه الاسلامي وأدلته، ج١، ص٥٤٥.
(٤) عبد الرزاق، معمر بن راشد الأزدي(ت١٥٣ه)، الجامع مصنف عبد الرزاق، المحقق، حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢، (المجلس العلمي، الهند، توزيع المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣)، ج١١، ص٢٩٥، رقم٢٠٥٨٠.
(٥) أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت ٤٣٠ه)، معرفة الصحابة، تحقيق، عادل بن يوسف العزازي، ط١، (دار الوطن، الرياض، ١٩٩٨)، ج٦، ص٣٣٩٩، رقم٧٧٦٨؛ الطبراني، المعجم الكبير، ج٢٣، ص٢٨٦، الرقم٨١٨.

وأن كان الضرر واقعا وليس على مبنى الظن قيل: «إذا خشيت على بصرها رمد، أو شكو أصابها أنها تكتحل وتتداوى بدواء أو كحل، وإن كان فيه طيب، قال مالك وإذا كانت الضرورة فإن دين الله يسر»(١).

ولهذا قال عبد الله بن مسعود لامرأته زينب وقد اشتكت عينها: «لو فعلت كما فعل رسول الله كان خيرا لك، وأجدر أن تشفي: تنضحين في عينك الماء، ثم تقولين: أذهب الباس رب الناس، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما»(٢)، والرقية دعاء مسنون، وطلب شفاء ويقضي الله مايشاء.

ب: - قالت أم سلمة: «اشتكت ابنة لي فنبذت لها في كوز لها، فدخل رسول الله ﷺ وهو يغلي، فقال: ما هذا؟، فقلت: إن ابنتي اشتكت فنبذت لها هذا، فقال: إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم»(٣).

سادسا: شكوى أم السائب (رضي الله عنها)، عن جابر بن عبد الله «أن رسول الله ﷺ دخل على أم السائب فقال: مالك ياأم السائب أو يا أم المسيب تزفزفين؟ قالت: الحمى لا بارك الله فيها فقال: لا تسبي الحمى فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد»(٤).

نهاها عن سب الحمى والمرض، فهو كفارة للخطايا قليلها وكثيرها، وقد جاء في حديث بيان وجه الرحمة من نازلة الأمراض، عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) «أن رجلا من المسلمين قال: يا رسول الله، أرأيت هذه الأمراض التي تصيبنا ماذا لنا بها؟ فقال: كفارات، فقال: أي رسول الله، وإن قلّت؟: قال: وإن شوكة فما فوقها، قال: فدعا على نفسه أن لا يفارقه الوعك حتى يموت، وأن لا يشغله عن حج ولا عن عمرة ولا جهاد في سبيل الله، ولا صلاة مكتوبة في جماعة، قال: فما مس إنسان جسده إلا وجد حرها حتى مات»(٥).

(١) تنوير الحوالك، السيوطي، ج٢، ص١١٢.
(٢) ابن قيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، زاد المعاد في هدي خير العباد، ط٣، (دار ابن حزم، بيروت، ٢٠١٩)، ج٤، ص١٥٦.
(٣) الطبراني، المعجم الكبير، ج٢٣، ص٢٦٧، الرقم٧٤٩.
(٤) مسلم، صحيح مسلم، ج٦، ص١٦، الرقم ٢٥٧٥.
(٥) ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (ت ٣٥٤ هـ)، صحيح ابن حبان، تحقيق، محمد علي سونمز، ط١، (دار ابن حزم، بيروت، ٢٠١٢)، ج١، ص٤٢١، الرقم٥٨٨.

سابعا: شكوى امرأة في مرض ونذر، جاء في الصحيح عن ابن عباس أنه قال: «إن امرأة اشتكت شكوى فقالت: إن شفاني الله لأخرجن فلأصلين في بيت المقدس. فبرأت، ثم تجهزت تريد الخروج. فجاءت ميمونة زوج النبي ﷺ تسلم عليها. فأخبرتها ذلك فقالت: اجلسي فكلي ما صنعت، وصلي في مسجد الرسول ﷺ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: فيه أفضل من الف صلاة فيما سواه من المساجد إلا مسجد الكعبة»(١).

وهذا مذهب عامة العلماء كالشافعي وأحمد وغيرهم قالوا «إذا نذر أن يصلي في البيت المقدس أجزاه الصلاة في مسجد النبي، وإن نذر الصلاة في مسجد النبي أجزاه الصلاة في المسجد الحرام وإن نذر الصلاة في المسجد الحرام لم تجزه في غيره عند الأكثرين»(٢).

ولهذا لما نذرت أخت عقبة بن عامر أن تحج ماشية حافية قال النبي ﷺ «إن الله لغني عن تعذيب أختك نفسها مرها فلتركب، وروي أنه أمرها بكفارة صوم أو إطعام، وذلك أن الأجر على قدر الطاعة ومنفعة العمل، وليس على قدر المشقة فحسب» (٣).

(١) مسلم، صحيح مسلم، ج٤، ص١٢٤، الرقم١٣٩٦.
(٢) بن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٣١، ص١٤٣.
(٣) بن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢٥، ص١٥٦.

الخاتمة

١ - موضوعات البحث تعد مرجعا في حل الشكاوى القضائية والافتائية في باب العبادات والمعاملات لمواجهة مشكلات اجتماعية وصحية ضمانا لتماسك البيوت في المجتمع الاسلامي.

٢ - زوجات النبي وبناته وصحابته من النساء يعرضن مشكلاتهن بين يدي النبي ﷺ طلبا للهداية وسعيا للإنصاف.

٣ - كل الشكاوى لها أسباب ومناسبة وحل، ولم تخرج زوجات النبي وبناته وصحابته من النساء عن ذلك، وهو مايمثل الحالة الطبيعية للنساء مع وجود النموذج للاقتداء.

٤ - اثبتت المرأة حضورها وتفاعلها في العبادات والمعاملات ومشاركة الرجل في السبق الى كل خير.

٥ - شكوى المرأة هو انعكاس للحالة الطبيعية التي لاتخرجها عن المثالية، بل تتحقق المثالية بعرض الشكوى والبحث عن حلها، وهي تنوب بذلك عمن ورائها من النساء.

٦ - عند التحرج في عرض الشكوى نجد من ينوب عن صاحبتها بالحديث والبلا غ رفقا بها ولتحفظ كرامتها من الهدر.

٧ - الشكوى لا تتنافي مع الصبر عند العارفين، إنما هي نتاج حالة تفاعلية مع المجتمع.

قائمة المصادر والمراجع

أولا المصادر

- القرآن الكريم.

١. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت ٦٣٠هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق، علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، ط١، (دار الكتب العلمية، ١٩٩٤).

٢. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، تحقيق، مصطفى ديب البغا، ط٥، (دار ابن كثير، دمشق، ١٩٩٣).

٣. ابن بلبان: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩ هـ)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق، شعيب الأرناؤوط، ط١، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٨)

٤. ابن تيمية، احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبدالله (ت٧٢٨هـ)، مجموع الفتاوى، (مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، ٢٠٠٤).

٥. ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، (ت ٣٥٤ هـ)، صحيح ابن حبان، تحقيق، محمد علي سونمز، ط١، (دار ابن حزم، بيروت، ٢٠١٢).

٦. ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢ هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (دار المعرفة، بيروت، ١٩٦٠).

٧. ابن حنبل، ابو عبدالله احمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت٢٤١ هـ)، مسند أحمد، تحقيق، شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، وآخرون، ط٢، (مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١).

٨. بن حميد، أبو محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكسي (ت ٢٤٩هـ)، المنتخب من مسند عبد بن حميد، تحقيق، صبحي السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي، ط١، (مكتبة السنة، القاهره، ١٩٨٨).

٩. ابو جمرة، عبد الله الازدي الاندلسي(ت٦٩٩هـ)، بهجة النفوس وتحليها بمعرفة مالها وما عليها، ط٣، (دار الجيل، بيروت، ١٩٨٤).

١٠. أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت٢٧٥ هـ)، سنن أبي داوود، تحقيق، شعيب الأرناؤوط، محمد كامل قره بللي، ط١، (دار الرسالة العالمية، ٢٠٠٩).
١١. السهيلي، عبد الرحمن بن عبدالله بن أحمد(ت٥٨١هـ)، الروض الآنف، ط١، (دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٩).
١٢. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (ت٩١١هـ)، تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك، (المكتبة الثقافية، بيروت).
١٣. بن شبة، زيد بن عبيدة بن ريطة النميري البصري، (ت ٢٦٢هـ)، تاريخ المدينة لابن شبة، تقيق، فهيم محمد شلتوت، (جدة، ١٩٧٨) .
١٤. الطبراني، ابو القاسم سليمان بن احمد (ت٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، تحقيق، حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، (مطبعة الزهراء، الموصل، ١٩٩٠).
١٥. عبد الرزاق، معمر بن راشد الأزدي(ت١٥٣هـ)، الجامع مصنف عبد الرزاق، تحقيق، حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢، (المجلس العلمي، الهند، توزيع المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣) .
١٦. القرطبي، ابو عبدالله محمد بن احمد الانصاري(ت٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القران، تحقيق احمد البردوني، وابراهيم طفيش، ط٢، (دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤).
١٧. القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت ٤٦٥هـ)، لطائف الاشارات، تحقيق إبراهيم البسيوني، ط٣، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر).
١٨. ابن قيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، زاد المعاد في هدي خير العباد، ط٣، (دار ابن حزم، بيروت، ٢٠١٩).
١٩. ابن ماجة، ابو عبدالله محمد بن يزيد القزويني، (ت ٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجة، تحقيق شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، واخرون، ط١، (دار الرسالة العالمية، ٢٠٠٩).
٢٠. مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١ هـ)، صحيح مسلم، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، (مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٥).
٢١. أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، معرفة الصحابة، تحقيق، عادل بن يوسف العزازي، ط١، (دار الوطن، الرياض، ١٩٩٨).

ثانيا: المراجع

١. الشعراوي، محمد متولي (ت ١٤١٨هـ)، تفسير الشعراوي، (مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧).

٢. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، الفقه الاسلامي وأدلته، ط٦، (دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٨).

٣. زيدان، عبد الكريم، المستفاد من قصص القران للدعوة والدعاة، ط١، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٩).